

الوعي الاجتماعي: المفاهيم والاختلاف بين علم النفس وعلم الاجتماع

شربال مصطفى
أ.د. بلعور الطاهر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد الصديق بن يحي - جيجل.

ملخص

الوعي والوعي الاجتماعي من المواضيع التي لم تلق ذلك الاتفاق العلمي والمنهجي في تعريفه ولا حتى في كيفية تكوينه وأنواعه. لذلك اختلف الفلاسفة والمفكرين والعلماء في تناوله خصوصا وأنه عابر للواقع والعقل ومسار الجدل بينهما. وهو موضوع عصي على الفصل فيه سواء في تموضعه بين العلوم كقيمة ليست ثابتة ولا مستقرة، أو في مدلولاته ومعانيه حسب الاتجاهات النظرية التي كثيرا ما تكون سندا علميا - أو يفترض ذلك - في جميع البحوث التي تؤسس لاقتراب معرفي ونظري يسعى لتثبيت المعنى قبل الأصل. فالاقتراب من الوعي الاجتماعي لإدراكه وإدراك مفاهيمه والاختلافات التي تحيط به أصبح ضرورة ملحة.
الكلمات المفتاحية : الوعي، والوعي الاجتماعي ، المدلولات والمعاني .

Abstract

The issue of consciousness and social consciousness has not received enough scientific and methodical agreement on its definition, development and types. So, scholars had different views about this topic, especially as it is a transient of reality, reason and controversies. It is a difficult subject to be resolved, whether in its status among sciences as an unstable value, or in its implications and meanings depending on the theoretical trends, which are often scientifically supported -or is assumed so- in all research that establishes a cognitive and theoretical approach that seeks to establish its meaning before its original source. Understanding the concept of social consciousness and perceiving its different surrounding parameters has become an urgent necessity.

keywords: Consciousness , Social Consciousness, Meaning and Original Source.

مقدمة

تختلف وجهات النظر إلى الوعي الاجتماعي باختلاف الحقول المعرفية والثقافية، والبيئات الاجتماعية، وحتى تكوين المهتمين بذلك. لأن الوعي يجد محدداتها الأولى من الحياة الاجتماعية التي تختلف من خلال المكان وعبر الزمان. وهو ظاهرة معقدة ومركبة لا يمكن البث فيها وتعريفها في المطلق، لأن التراكمات المعرفية والمنهجية لا تسمح بذلك وتؤدي في الغالب - وتحتم - القطاعية في تحديد المفهوم. وعليه فالوعي الاجتماعي يتضمن عديد أنواع الوعي كما الوعي السياسي والوعي الديني، والوعي البيئي... إن تعدد المفاهيم واختلاف المدلولات يحتم الاقتراب بحذر لمضمون الوعي الاجتماعي بحسب العلوم الاجتماعية والنفسية حتى يتم تجاوز أي قصور في التعاطي معه باعتبار الفرد والمجمع ومجموع الخبرات المتوارثة، والتي ترسم حدود المفهوم ولا تسقط خصائصه. فما الوعي الاجتماعي، وما حدود الاختلاف في مدلولاته خاصة بين علم الاجتماع وعلم النفس؟

أولا : مفهوم الوعي الاجتماعي لغة :

1 - الوعي في اللغة العربية: من وعى الشيء أي حفظه وفهمه وقبله (1). بمعنى استوعبه من جميع جوانبه لفظا وقصدا وغاية. والوعي " الحفظ والتقدير والفهم وسلامة الإدراك" (2). فهو إدراك كل ذلك، وما يترتب من علاقات. وبالنظر إلى التعريفين يتبين أن الحفظ هو التخزين بعد المعالجة التي هي إدراك العلاقات بين الأشياء وفهم الأوضاع مما ينتج معان مقبولة.

والوعي في قواميس اللغة العربية تتعدد معاني الوعي وتختلف إما ضيقا أو اتساعا لكن مجملها يقر أن الوعي يشير إلى الإدراك، والإحاطة، والفتنة، والحفظ والتقدير والفهم. (3)

- ففي المعجم الوسيط: الوعي (بتشديد الياء): الفقيه، الحافظ، الكيس، أي مميزا من هو واع. والوعي كلمة تفيد ضم الشيء. ووعى الشيء أي: حفظه وفهمه وقبله، ومن ثمة فهو واع (4). ذلك أن الإلمام بالمدرجات يسمح بالانتقال إلى مستوى أعلى في التعاطي مع تجليات الواقع والحياة. و"أوعى من كل زملائه: أكثرهم فهما واستيعابا" (5)، أي من أحاط علما أو جمع علما.

وفي المعجم الرائد: «واعي اليتيم: وصيه، حافظه» (6). أي الذي يرعى اليتيم والقاصر ويحيطه ويشمله بالرعاية ويصونه.

الوعي في القرآن الكريم :

وردت كلمة الوعي في عديد آيات القرآن الكريم وبصيغ مختلفة منها :

1 - "لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية" (7). أي الأذن الحافظة التي تعقل ما سمعت من كلام الله، وانتفعت به، أي حفظ وفهم وقبول،.. وإنما تعي القلوب ما تسمع الأذان من الخير والشر من باب الوعي" (8). كما تعني أيضا القلة من الناس التي تعي ما تسمع، وهذا تقريع لغير الواعين لما يسمعون.

2 - وقوله جل وعلا : "وجمع فأوعى" (9)، أي اكتنز ولم يؤد الزكاة المفروضة عليه.

3 - ويقول سبحانه وتعالى: "والله أعلم بما يوعون" (10)، ويعون من الإيعاء وهو ما يضمّر في الصدر، والمقصود ما ترسب وأخفي في صدورهم من إثم و تكذيب وتدليس. وفي هذا يقول "الزمخشري": "ما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء، أو ما يجمعون في صنفهم من أعمال السوء ويدخرون من أنواع العذاب" (11).

4 - وقوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة" (12)، ويعني هذا عدم الوعي بما انزل، وعدم الإيمان، فلا سمع، ولا شيء من الإيمان يستقر في القلب ولا علم بالبصيرة لأن كلمة "ختم" تعني حاجزا يمنع ذلك.

5 - وتوجد عديد الآيات في كتاب الله التي لها معاني الوعي وعدم الوعي، حيث تتكرر كلمات قلوبهم، أبصارهم، يسمعون، يشرح صدره ويجعل صدره ضيقا...

- وفي الحديث الشريف :

- قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " ليبليغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه" (13)، أي أحفظ وأفهم منه للقول أو الأحكام. أي ممكن جدا أن الرجل الذي بلغوه يكون أوعى من حامل الحديث.

- وعن حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " نُصِرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَاَهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرَبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرَبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ يَكُونُ أَفْقَهَ مِنْهُ " (14)، وبالنظر إلى هذا الحديث الشريف يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو

بالنضارة (نضارة الوجه وبهجته) لكل من يسمع حديثه فيحفظه حرصا منه على وعيه واستذكاره وتبليغه لما فيه خير.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استحيوا من الله حق الحياء، قال: قلنا إنا لنستحي يا رسول الله، قال: ليس ذلك ولكن من استحي من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، وليحفظ البطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء". (15)

وورد في صيغة أخرى "قرءوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف فإن الله لا يعذب بالنار قلبا وعى القرآن" (16). أي أن الله جل وعلا لا يعذب من وسع قلبه القرآن الكريم وحفظه وتمسك به قولا وفعلا.

2 - الوعي في اللغات الأجنبية:

في اللغة اللاتينية: "الوعي كلمة لاتينية الأصل "Conscientia" تعني معرفة الأشياء على نحو مستمر، فالوعي هو الأفكار التي تمر في عقل الإنسان، كما أنه عملية أو حالة من الإدراك لخبرات ذاتية في لحظة معينة" (17). أي أن الوعي هو إدراك للواقع بالرجوع للخبرات السابقة.

وفي اللغة الإنجليزية: الوعي "Consciousness" تعود إلى الكلمة اللاتينية "Conscientia" والتي تعني (المعرفة المشتركة Shared Knowledge). (18) وإن تعددت التسميات كما "Aware" التي تعني (أن تكون على علم being informed)، أو (أن تعرف to know). وغالبا ما ما تستعمل كلمة "awareness" التي تقيّد اكتساب الخبرة أو الخبرة ذاتها. في حين كلمة "Consciousness" فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية "Cumsciere" التي تعني (أن تعرف عن To know about). (19)

وفي المجموع فإن كلمة "Consciousness" هي كل ما يصاحب الإدراك من استقاء الفهم للموضوع أو الذات، ويمكن من التفاعل والتعامل مع البيئة، ومع ما يمتد إلى الماضي وما هو في الحاضر وما يتوقع في المستقبل. وهو ليس بالضرورة مرافقا للإدراك، فحتى الحيوان يمكن أن يدرك الخطر دون الوعي به، تماما كما الطفل في مرحلة متقدمة من العمر، ولو أنه يكون نوعا ما واعيا بتتابع المراحل "not fully conscious". (20) والوعي بذلك هو ذلك التعامل مع المعطيات المتاحة عقليا حسب الغرض باعتبار الخبرة (21)، أي أنه كل تعامل منطقي أو آخر يضبط صيرورة التفكير والسلوك.

في اللغة الفرنسية: جاء في قاموس Le petit Larousse illustré أن الوعي هو إدراك الفرد للشيء بوضوح سواء حول عالمه الخارجي أو ما بداخله، وهو إحساس داخلي يدفع الفرد للحكم على الأشياء والأفعال في حسنها وسيئها. (22)

ثانيا: الوعي الاجتماعي اصطلاحا:

1 - الوعي الاجتماعي عند الفلاسفة :

الوعي الاجتماعي عند "هيجل Hegel": هو معرفة الإنسان لذاته (23)، حيث يرى أن أي تفكير ينطلق من الذات باتجاه الطبيعة التي أوجدت لإقرار معرفة وفهم الذات وتحقيقها. فالإنسان أكيد سيتعرف على ذاته من خلال العوامل الموضوعية للتذكر والتي توجد خارجا على نحو جلي ومباشر. فالخارج أو الطبيعة هو مقياس لمعرفة الذات وفهمها والراقي بها، فالصورة تنطلق من الذات نحو الموضوع ثم تعود إليها للتعديل بما يحقق الذات. فالإنسان يستطيع إدراك الذات من خلال ذلك التجلي الذي يبرز في تقابل الذات والموضوع ومجموع التمثلات المتاحة تباعا في مقابل الأشياء الخارجية (24). ومنه فالوعي بالذات يسبق الوعي بالموضوع، هذا الموضوع هو وسيط لإثبات أو تعديل الوعي الذاتي، فالفكر مصدره العقل ومنه فالوعي عقلي وينطلق منه. طبعا وهذا توجه عقلي في مفهوم الوعي، فالأفكار هي التي تقوم ببناء الوعي الذي هو الإلمام بالمحيط ومتطلبات الذات لأجل رقي فكري يحول الواقع ويسمو على أي تناقض موجود. لكن "هيجل" يقر في الأخير أن مصدر الوعي هو جوهر مطلق، وأن الأساس الجوهرى للعالم هو وحدة الوجود والتفكير، وأن لا تمايز بين الذاتي والموضوعي إلا فكريا.

- الوعي الاجتماعي عند "ديكارت Descartes": ينطلق "ديكارت" من ثلاث معطيات في موضوع الوعي الذي هو محصلة في الأخير. هذه المعطيات هي : الذات والتفكير والوجود، وهو يشك دوما في الذات ونوازعها كما يشك في الوجود وتبدلاته، فهو يرى أن الشك كمنهج ملازم للذات منذ البداية، وهو كآلية لا تنشق سوى في التفكير الذي هو وسيلة تربط الذات بالموضوع ويؤدي إلى اليقين بوصفه تفكيرا يمكن من الإدراك ويثبت وجود الذات. وأخرج بذلك "الكوجيتو الديكارتى" - أنا أفكر إذا أنا موجود - فالتفكير يثبت الذات المفكرة وهي الحقيقة اليقينية الأولى، ومتى توقفت الذات عن التفكير ينتهي وجودها. والوعي عند "ديكارت" بداهة لدى الإنسان وهي أساس كل تفكير، والتي تعطي للوجود معناه وحقيقته ومنه فالشك يدعو إلى التفكير كوسيلة للإثبات. فـ "ديكارت" بهذا يبجل العقل كمعطي، ويعطي آلية الشك والتفكير الأولوية الأحادية التي تؤدي إلى الإدراك ومن ثمة الوعي. فالإحاطة بالحقيقة هي إحاطة بالذات والوجود.

- **الوعي الاجتماعي عند "كانط Kant":** يرى كانط أن الوعي هو وعي الذات للذات كوجود أخلاقي، وهو تلك الأحكام التي تصدر عن الإدراكات الذاتية المتاحة والواقع الممتد للذات سلبيًا أو إيجابيًا، بمعنى آخر أن هذا الإدراك للذات لا يمكن أن يمتد إلى الخارج سوى كـ معرفة نسبية. فالوعي هو الذات العارفة للطبيعة الموضوعية التي هي موضوع المعرفة، وإذا كان إدراك الذات ممكنًا جدًا في حدود المعقولة فإن إدراك المحيط يتأتى نسبيًا من خلال جلب الصور الحسية ثم فهمها وتركيبها على نحو يتيح معرفتها لا وعيها (25)، لأن الوعي بالأشياء والمحيط هو وعي نسبيًا مادام الإنسان لا يستطيع إدراك كنه هذه الأشياء لأنها منفصلة عنه، فهو يدرك ذاته ويعرف محيطه. والوعي عند "كانط" أكثر من مجرد معطى، فهو محصلة عقل وأخلاق تتجلى في كل عمل يوصف بأنه أخلاقي أو هو فضيلة، والفضائل بين الناس مطلب ملح.

2 - الوعي الاجتماعي في علم النفس وعلم الاجتماع:

الكثير من فروع العلم تناولت مفهوم الوعي من جانبه الاجتماعي، واختلفت مضامينها بين علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما. لذلك سيتم استعراض ما ذهب إليه كل علم.

أ - **الوعي الاجتماعي عند علماء النفس:** الوعي عند علماء النفس ذا منطلق ذاتي له وسائل حسية وأخرى عقلية تجعل من الأفراد يشعرون بالمحيط الخارجي ويدركونه، ومن ثمة فالوعي بهذا المعنى هو جدل الذات مع الموضوع في تطابق متناغم مما يجعل الوعي درجات، أو قد يقع في مغالطات فيكون زائفًا أو جزئيًا في أحيان عدة، ما لم يكن مطابقًا للواقع الموضوعي أو يختلف عنه.

فالوعي الاجتماعي حسب رواد التحليل النفسي هو "تكوين نفسي - منطقي، وتوافق مع نمط معين من البيئة ترتبط به الطاقة العقلية من خلال الرموز اللفظية، وبالتالي يتشكل بها" (26)، بمعنى أن الوعي ذا منشأ نفسي يأخذ صورته من البيئة أو الواقع ويتشكل على منوالهما. واللاوعي "يقصد به العمليات التي تحدث دون شعور الإنسان بها" (27). وهو "تكوين نفسي غير منطقي منعزل عن الوعي، ولا يتوافق مع البيئة الخارجية، ولا يخضع للرموز اللفظية. وبالتالي لا يتشكل بها" (28). ومعنى ذلك حصر الوعي الاجتماعي في ما يظهر علنًا باعتبار الواقع والمعقولة.

ويعرفه "أحمد اللقاني" بأنه: "شحنة عاطفية وجدانية قوية تتحكم في كثير من مظاهر السلوك لدى الفرد، ويتم تكوين وعي من خلال مراحل العمل التربوي في مختلف مراحل التعليم، وكلما كان الوعي أكثر نضوجًا وثباتًا كان ذلك أكثر قابلية

لدعم وتوجيه السلوك الرشيد في الاتجاه المرغوب به" (29). أي أن الوعي الاجتماعي بناء نفسي يظهر على مراحل حسب درجة نضج الأفراد وطبيعة سلوكهم المتقبل اجتماعيا.

وتعرفه "نادية بنداري" بأنه : "نشاط شعوري يصدر عن الفرد نتيجة رد فعل ما، وغالبا ما يكون هذا النشاط الوجداني مشبعا بالجوانب المعرفية، ليس في مستوى التذكر ولكن عند مستوى الإدراك (30). وطبعاً فإن الإدراك والتذكر دوماً مرتبطان بواقع معيش يحدد طبيعة ما هو اجتماعي، وكذا موقع الفرد فيه.

وتعرفه "أمل عطوة" أنه : "مجموع المعارف والأفكار الخاصة بالفرد والتي تنصب على معرفته لذاته وللبيئة المحيطة به، وهو محصلة تفاعل الإنسان مع بيئته وتأثيره فيها وتأثره بها، مما ينعكس على أفكاره وإدراكه للعالم المحيط به" (31). فدون البيئة الاجتماعية لا يمكن أن يكون وعياً اجتماعياً ولا إدراكاً للفرد طالما أن الواقع الموضوعي في أحد أجزائه هو عوامل تذكر وإدراك.

أما "السيد دالي" فيرى أنه الحصاد الجدلي لمشاعر وإدراكات وتصورات جماعية للواقع الاجتماعي، تتحدد الوجود الاجتماعي، والوعي الاجتماعي لا يقتصر على مجرد عنصر الإدراك والمعرفة، بل يتعدى ذلك إلى الاستيعاب أو حتى الفهم والتقييم، بل وردود الفعل والتصرف" (32)، أي أنه ليس فقط إدراكات الفرد في تفرده، بل هو ذلك التناغم الجماعي مع الواقع والمأمول من السلوك في الوجود الاجتماعي.

ومنه فالوعي عند علماء النفس هو الشعور، ويعني "مجموع عمليات إدراك الإنسان لنفسه وللعالم الخارجي المحيط به، والاستجابة لها، ويقابل الوعي اللاوعي" (33). بمعنى أن الوعي يسبقه مثيراً ل يتم رد الفعل كإدراك وفهم لطبيعة الموقف.

ب - الوعي في علم الاجتماع: يعرفه قاموس علم الاجتماع أنه اتجاه عقلي مستمد من الواقع حيث يمكن للفرد إدراك ذاته وبيئته ومجتمعها من حيث أنه عضو فيه (34). أي أن الوعي ينطلق من الواقع أو هو انعكاس له، يعني إدراك العلاقات بين الأشياء والظواهر وفهمها للتصرف حسب الخبرة التي تأتي تباعاً. كما أنه "القدرة على تأويل المشاعر وتفسيرها بالعبور منها إلى الواقع الموضوعي، وهو القدرة على العبور من الذاتية إلى الموضوعية عن طريق التأويل (35). وبالنظر إلى هذا التعريف يمكن اعتبار الوعي أنه تفسير يفضي إلى الفهم الموضوعي للعلاقات والظواهر، ومن ثمة تحليلها والحكم عليها. وهو محصلة وجود الإنسان في محيط اجتماعي ذا ثقافة أياً كانت درجة تقدمها، بمعنى أن ما يحدد طبيعة الوعي هو

تفاعل الأفراد فيما بينهم ومع بيئتهم، وتراكم المعارف بشأن ما يضمن استمرار الحياة سواء الفكرية أو الاقتصادية، وما يمتد لها من إبداع وابتكار وما يساعد أو يعيق تجاوبه مع الظروف. أي أنه " إدراك الفرد لطبيعة الظروف والمخاطر والمعوقات المحيطة به، وكيف يستطيع التفاعل معها والتجاوب مع مفرداتها، بحيث يكون متكيفا مع البيئة والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه" (36). فهو "حالة عقلية من اليقظة، يدرك فيها الإنسان نفسه وعلاقاته بما حوله من زمان ومكان وأشخاص، كما يستجيب للمؤثرات البيئية استجابة صحيحة" (37). أي أن الوعي هو الاستجابة الصحيحة للمؤثرات الخارجية وإدراك الذات والموضوع إدراكا عقليا عن شعور.

والوعي الاجتماعي عند علماء الاجتماع قد يتخذ منحى جدليا في أسبقية الموضوع عن الذات العارفة باعتبار ذلك التباين في الطرح الذي يعود إلى تناقض النسق الفكري ومن ثمة فهو قدرة الأفراد في الخوض في المواقف التي تصادفهم بما يحقق المنفعة الفردية والجماعية بشكل ثابت نسبيا، دون إخلال بمنظومة القيم ومعايير السلوك المعمول بها في المجتمع، ذلك أن الوعي الاجتماعي قد يواجه ظروف خارجية وعوامل تؤثر فيه، فيظهر قصورا أو ضبابية في عقلانية الأفراد. إلا أنه في المجمل لا يحدد عن أنه تقرير يأخذ مبرراته من الواقع ومنطق الإدراك مهما كانت منطلقاته منه.

كما يعرف "أنه اتجاه عقلي انعكاسي يمكن الفرد من إدراك ذاته والبيئة المحيطة به بدرجات متفاوتة من الوضوح والتعقيد. ويتضمن الوعي إذا وعي الفرد بوظائفه العقلية والجسمية، ووعيه بالأشياء وبالعالم الخارجي، وإدراكه لذاته بوصفه فردا أو عضوا في الجماعة" (38). أي أن الوعي يبدأ ذاتيا دون إغفال الجانب الاجتماعي، ويتم بدرجات متباينة بين الأفراد، وكذلك تفاوت درجات الوضوح والتعقيد.

ويرى "أوسوفسكي" : "أنه مجموعة المفاهيم والتصورات والآراء والمعتقدات الشائعة لدى الأفراد في بيئة اجتماعية معينة، والتي تظهر في البداية بصورة واضحة لدى مجموعة منهم ثم يتبناها الآخرون لاقتناعهم بأنها تعبر عن واقعهم" (39)، وهو وفق هذا الطرح يقترب من أنه ثقافة أو إجماع معرفي في الخيال الاجتماعي الذي يتأسس كمقياس للحكم باعتبار الموروث الاجتماعي أيضا.

ويعرفه "روزن Rosen" أنه إدراك الإنسان لذاته وللعالم الموضوعي بكل الآليات العقلية طيلة تطوره الاجتماعي (40). أي أن يكون الفرد ذات عارفة والطبيعة موضوع معرفة باستعمال كل القوى العقلية حسب تطوره الاجتماعي.

ويرى "إبراهيم سعيد" أن الوعي هو تيقظ الفرد نتيجة الخبرات المكتسبة عن طريق الحواس والتفكير (41). ومنه فالوعي أساسه الذات.

في حين يرى "حمدي حسن عبد الحميد" أنه مجموعة الآراء والأفكار والتصورات الناتجة عن إدراك الأفراد للواقع الاجتماعي، والذي يتحكم فيما بعد في ردود أفعالهم (42). أي أن الوعي الاجتماعي ذا منشأ خارج الذات، بمعنى أن الواقع ومدخلاته وإكراهاته هو من يحد طبيعته أيا كانت.

والوعي الاجتماعي عند عبد الباسط عبد المعطي: " ليس إدراكا فقط للواقع، وليس تصورا له فقط، بل هو نتاج لحركة تبادلية يندمج فيها الفردي في الاجتماعي، والذاتي في الموضوعي والإدراك في التصور، وتعد الأبعاد النفسية مجالات أولية للوعي، وبالتالي فإن الأبعاد النفسية والفكرية والعلم تعد مجالا نوعيا متميزا من مجالات الوعي، يتميز فيها عن غيره من المجالات بوظائفه والدرجة التي يعكس بها الواقع الاجتماعي" (43)، بمعنى أن الوعي الاجتماعي هو محصلة سوسيونفسية للفرد اتجاه الواقع بما يضمن الاستمرار الفكري والمادي والنفسي.

وكتعميم سوسيولوجي فالوعي الاجتماعي هو صفة التميز للتفكير والسلوك في مواقف مختلفة في المكان والزمان، وعلى الرغم من تعدد مدلولاته فإنه يتسم بأنه وحدة متماسكة من العمليات العقلية المستمدة من الواقع، والتي يكتسبها الفرد من وجوده في وضعيات تفرض عليه سلوكا معينا لأجل أداء جيد، أو لأجل تناسق مع الغير سواء أفرادا أو منظمات. وهو في حد ذاته تشييد وبناء عقلي يعني اتخاذ المواقف إزاء الأشياء والظواهر والعلاقات فيما بينها. ومن ثمة مباشرة سلوك متميز عن العادة، مع الأخذ بنظر الاعتبار طبيعة الوضع والمركز والدور المنشود، والنتيجة في الآن وعبر الزمن، لأن الوعي الاجتماعي لا يعني فقط الفطنة في خوض المواقف واتخاذ القرار، بل يعني أيضا استحضار الذاكرة لمجابهة مستجدات لها ما يبررها ماضيا، وتعين الأفراد في حاضرهم ومستقبلهم.

شروط تحديد الوعي الاجتماعي:

إن تحديد الوعي وقولبته يتطلب جوانب مختلفة لدى الإنسان كعضو أو كنفس، ولدى الفرد كأحد مكونات المجتمع. لذلك لتحديد الوعي يستوجب دوما الأخذ بنظر الاعتبار هذه الوضعيات، والتي هي شروط - ضروري جدا - الكشف عنها وهي:

1 - الشروط العضوية الفاعلة في تحديد الوعي: وهي طبيعة الجسم الذي يكون في حالات مختلفة من القوة والضعف والتركييب والخصائص المختلفة، ودون إقصاء للحياة النفسية ومؤشرات المحيط الاجتماعي. فطبيعة الجسم كبناء قائم تحدد

طبيعة الوعي ودرجة نموه. فالجسم المعتل يختلف عن الجسم السليم، والحكمة تقول: «العقل السليم في الجسم السليم» فإصابات الجسد تؤثر سلباً في الوعي، وسوء الهضم والألم المتقطع أو المتواصل يؤثر في التذكر وعمل العقل وهكذا...

2 - الشروط النفسية الفاعلة في تحديد الوعي: إن البعد العاطفي عند الأفراد لا يمكن إغفاله أو تحييده في تحديد الوعي لأنه هو من يحدد طبيعة العلاقة مع الأفراد الآخرين ومع البيئة المحيطة. فالانطباع الشخصي هو معنى ذاتي قد يختلف عن المعنى عند الآخرين، وقد تختلف قيم الفرد عن قيم الآخرين في طريقة بنائها أو في طريقة النظر إليها باعتبار عوامل ذاتية متفردة، وما يؤخذ كمثال يقتدى به. وبهذا المعنى فالوعي لا يتقرر سلفاً، بل هو ذا منشأ ذاتي وهو مبادرة شخصية في اتجاه الطبيعة والمجتمع.

3 - الشروط الاجتماعية الفاعلة في تحديد الوعي: البيئة الاجتماعية تؤثر على وعي الأفراد والجماعات، لأن الفرد مهما كانت درجة وعيه لا يأخذ دوره في إطار الحياة الاجتماعية التي هي إطار ينتج الوعي. فأفكار أفراد المجتمع هي ما يحدد اتجاه التفكير، وهي ما يؤثر على الوعي سلباً وإيجاباً، وقوة الوعي تتحدد حسب الظروف المساعدة لأن الدور الاجتماعي يحتم تطور مستوى التفكير، وإدراك العلاقات وبناء نمط متواصل من آليات التعامل مع المواقف، والمجتمع هو المحفز لأي نشاط إبداعي في كافة المجالات.

أصناف الوعي :

تختلف مدلولات الوعي بين المفكرين والفلاسفة، حسب طبيعة التخصصات، وحسب الوسائل المتاحة وحسب الأنشطة العقلية والمادية والهدف من التفكير في أمور الحياة أو الواقع، ومستويات الأخذ بالعلم والمعرفة. إلا أنهم يتفقون أنه ممارسة للنشاط، والوعي بهذه الممارسة بغض النظر عن طبيعة هذا النشاط هو:

1 - الوعي العفوي - التلقائي: آلية فكرية لأداء نشاط معين، لا يتطلب جهداً عقلياً، فهو متاحاً آلياً بحيث لا يستدعي التفكير أو استرجاع صور ماضية تحاكي الحدث أو النشاط أو الفكرة الآتية. وهذا الوعي " لا يمنعنا من مزاوله أنشطة ذهنية أخرى" (44) أي ممارسة نشاط آخر في ذات الوقت، وهو يقترب من العادة.

2 - الوعي التأملي: هو التفكير في قضايا ومواقف وممارسات، ينطلق من الذات إلى الموضوع في محاولة إثبات علاقة أو قياس قيمة، أو الوصول إلى إجابات تتطلبها الأنشطة المختلفة " وهو على عكس الأول يتطلب حضوراً ذهنياً قوياً، ويرتكز على قدرات عقلية عليا كالذكاء والإدراك والذاكرة" (45)، واستحضار

صور مماثلة من الماضي لأجل الحسم في الموضوع. وهو بذلك لا يتيح أداء نشاط آخر مغاير في ذات اللحظة الزمنية.

3 - الوعي الحدسي: هو إدراك الموضوعات وربط العلاقات باستعمال كافة القوى الحسية والنفسية والعقلية وما فوق ذلك، والتوصل إلى تصور متكامل دون دليل أو برهان. وهو ليس متاحا في أغلب الأحيان، بل نادرا ما يكون ذلك.

4 - الوعي المعياري - الأخلاقي: وهو قناعة فكرية، أي مجموع القناعات والأنساق الفكرية المعتقد بها بناء على معيار ذاتي يسمح بإصدار أحكام قيمية على الأشياء والعلاقات والأحداث بغض النظر عن أنها مصيبة أو مخطئة أو مغالطة. والوعي المعياري يراعي سلم الأخلاق، ويرتبط أيضا بمستوى العلم، كما يرتبط في العادة بروح المسؤولية الاجتماعية والمصلحة الذاتية والجماعية.

مكونات الوعي الاجتماعي:

1 - القيم Values: وهي كل التفضيلات إزاء الأشياء والسلوك والوضعيات في الحياة الاجتماعية، والتي تنطلق من المبادئ المعتقد بها كأفكار ذات نجاعة ومردود، وكذا تلك الأحكام التي تطلق على الأحداث والأشخاص والمواقف والتي تؤسس لعلاقات اجتماعية. ومن ثمة فبلورة علاقة بين هذه القيم والسلوك المراد انتهاجه يفضي إلى وعي مستنبط من الواقع الذي هو المحك الأول. دون إغفال المحكات الأخرى كما القانون ووسائل الضبط الأخرى كالعرف والتقاليد.

2 - الاتجاهات Attitudes: عادة الاتجاه هو الميل والاستعداد للاستجابة إلى منبه معين بطريقة أو أخرى في ظل ظروف ومتطلبات معينة أيضا. وما دام الأفراد لهم ميول لفعل اجتماعي ما، فهذا يعني وجود اختيار بين أحكام ترجحها الحاجة الاجتماعية والحتمية البيولوجية، وما يلقي إقرار التوجه الاجتماعي السائد. لذلك فإنه بين المثير والهدف يوجد إشباع ويوجد تحقيق الدفاع عن الذات، والتعبير القيمي والمعرفة وتحقيق المنفعة، وهي الوظائف الأربعة للاتجاه.

3 - المعتقدات Les croyances: إن المعتقدات هي كل ما يدخل دائرة إيمان الفرد، ويفضله عن البدائل الأخرى سواء كانت هذه المعتقدات ذاتية تمتد إلى الفرد دون غيره بغض النظر عن أنها سوية أو وسواسية (مرضية)، أو كانت اجتماعية بحيث يكون هذا الإيمان تابع لمعتقد الجماعة دون تمحيص أو حتى اعتراض في حال كان الاعتقاد إيديولوجي. ويوجد المعتقد الديني، ويكون في الغالب خارج محاولات تحرر الأفراد سواء كان الدين وضعيا أو سماويا.

وعليه فالوعي الاجتماعي هو كل تفكير أو سلوك يأخذ بنظر الاعتبار جملة المفاهيم والقيم السائدة والمفضلة في مجتمع معين، والذي يحدد طبيعة التفاعل في مختلف المجالات.

أنواع الوعي الاجتماعي:

1 - الوعي الفردي: إن اتجاهات الفرد ومواقفه إزاء التجليات الاجتماعية والأحداث هو ما يشكل نمط التعاطي مع أنواع النشاط المادي والمعنوي (الفكري) للفرد وما يسعى إليه كطموح. بمعنى أن وعي الفرد " يرتبط بالوجود المحدد للفرد في جماعة وطبقة ومجتمع معين، وبكل أساليب وفرص إشباع حاجاته الروحية والمادية" (46). وعليه فالوعي الفردي تتحكم فيه الظروف الخاصة للأفراد وطبيعة الجماعة أو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي تشكل البيئة المحددة له. وإذا تم الانتقال إلى حلقة أضيق لصيرورة الوعي كعملية ذاتية فهو " العملية التي يقوم بها العقل باستخدام المعرفة المخترنة لديه لتحديد دلالات المدركات الحسية ومعانيها، فالفرد لا يفسر الرسائل التي يستقبلها في معان مطابقة لها تماما، ولكن يكون التفسير في إطار التفاعل بين الرموز التي يتم استقبالها وبين المعرفة السابقة ذات العلاقة التي يستعين بها الفرد المتلقي" (47). فالوعي الفردي على المستوى المعرفي هو وعي تطبيقي يومي يحدد ما يرجى تحقيقه من حاجات، وما يشبع من رغبات، ولا يتطلب تفكيرا أو تركيزا على الفعل، فهو عفوي تلقائي لا يتعدى الحدود السطحية للظواهر والمواقف. وعي نظري وهو الذي يتطلب تفكيرا بمعزل عن أداء عمليات أخرى في ذات الوقت، والهدف منه إدراك الجواهر والعلاقات ومواجهة مواقف مستجدة (48)، وهو وعي يغوص في عمق الظواهر والمواقف لتفسير مسبباتها وتحليل أجزائها، ومن ثمة إدراكها إدراكا كاملا.

2 - الوعي الجماعي: من الضروري استبعاد النظرة الضيقة للوعي الجماعي لأنه مختلف حسب البيئات وفي المراحل الزمنية والتاريخية المتعاقبة، ذلك أن الوعي الجماعي هو نتاج التفاعل الحاصل بين الأفراد ككيانات فردية أو جماعية، وكذلك الاحتكاك بين وعي الطبقات والثقافات الخاصة في المجتمع الواحد. وعليه فالوعي الجماعي هو كل التجليات التي يفرزها المجتمع، ومن ثمة فهو "منظومة عامة من الأفكار والنظريات للطبقات حول مجمل العلاقات الاجتماعية القائمة، ويمثل فهما كليا لها، وهذا الفهم الكلي يعد الشكل الأرقى والأعلى للوعي الاجتماعي. (49)

أشكال الوعي الاجتماعي:

إن تعدد التظاهرات الاجتماعية، وتعدد أوجه الحياة والممارسات الفردية والجماعية جعلت الوعي الاجتماعي يتخذ أشكالاً مختلفة حسب الموضوعات، وباعتبار طبيعة الظواهر الاجتماعية وأشكال التنظيم المعتمدة. ويوجد تداخل معرفي وفرز منهجي بين بنية الوعي وأشكاله ذلك "أن دراسة بنية الوعي الاجتماعي على الصعيد المعرفي فحسب تؤدي حتماً إلى الزعم بأن أشكال الوعي الاجتماعي ليست سوى طرق مختلفة لمعرفة الواقع، تتميز عن بعضها حسب موضوع وطريقة الانعكاس" (50) ويرتبط أساساً بطبيعة العلاقات الاجتماعية ونظرة الأفراد لمصالحهم وتحديدات مسار حياتهم في مختلف المجالات. ويمكن جداً التطرق إلى أشكال الوعي الاجتماعي حسب مجالات ممارسته، وكذا التخصص الاجتماعي السائد، وبنية العلاقات الاجتماعية. ومن ثمة فأشكال الوعي الاجتماعي تتمثل عادة في :

1 - الوعي الديني Religious Consciouness: بما أن الدين هو العامل الأكثر أهمية في الضبط الاجتماعي، ولأن الدين هو تلك العلاقة بين المخلوق والخالق، والتي تقوم على الإذعان قبل أن تكون قناعة لها صفة الديمومة في الغالب، وهي متجددة دوماً لأنها تراعي كل الظروف الاجتماعية والمستحدثات التي تتصل بالفرد في ممارساته الاجتماعية والعلمية والسياسية والاقتصادية وحتى العاطفية فإن الوعي الديني هو مجموعة أحكام قيمية تضبط علاقة الفرد والأفراد اجتماعياً، وكذا علاقتهم بالخالق أو المعتقد به سواء كان إلهاً أو رباً. وبالمعنى التطبيقي هو وعي الفرد للأحكام الدينية، ومجموع التعاليم، وكذا تصوره لطبيعة علاقاته مع المحيط الاجتماعي والنسق الفكري السائد. وعليه فالدين هو سلوك اجتماعي سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، له مرجعيته المقدسة والهالة التي ترسم الحدود بين ما هو مقبول وما هو غير ذلك. وفي هذا السياق يرى "دوركايم" أن أصل الدين في المجتمعات على اختلافها يعود إلى ذلك الحد الفارق بين ما هو مقدس وما هو علماني باعتبار أن الدين "نسق من المعتقدات والممارسات التي تتصل بشيء مقدس، وهذه المعتقدات والممارسات في مجتمع أخلاقي واحد، ويضم كل الذين يرتبطون به" (51). وهو يدعم النظام الاجتماعي القائم، والإجماع القيمي بما يضمن استمرار المجتمع.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى الوعي الديني له وظيفة حفظ القيم في تعامل الناس نفعياً فيما بينهم بعيداً عن الغش وفارق الفائدة، وكل ما يشوب التعاملات من نقائص.. وليس بعيداً عن ضبط التعاملات مع الآخرين فإن الوعي الديني يضبط الخلل النفسي إلى أبعد الحدود، حيث يؤكد "راد كليف براون" أن ممارسة طقوس العبادة باعتقاد راسخ يحد من القلق وكل أنواع الإثارة المضرة بالذات (52) وعليه

فالوعي الديني هو تنظيم مجمل العلاقات من منطلق عقائدي - قيمي، وهو بذلك - في حد ذاته - قيمة اجتماعية يبلور إيديولوجية فكرية تنطلق من الذات كما الضمير، تتكاتف مع المجتمع كرقيب أعلى يشكل الضمير الجمعي.

2 - الوعي الحقوقي "القانوني" Law Consciouness : وهو كل وعي يبني على القيم الاجتماعية والأحكام المعمول بها عرفا في البداية، انطلاقا من المعايير التي سبق تثبيتها والاتفاق عليه، والتي تحفظ الحقوق والأملك و المصالح، وتحدد مسار التعامل بين الأفراد بما يضمن شرعية التصرف دون إجحاف أو انحياز للأفراد والجماعات باعتبار القوة والحق والواجب ودرء المظالم. والوعي الحقوقي هو جملة المبادئ المتفق عليها التي تؤكد مشروعية الفعل ورد الفعل. وكما يقول "أوليدروف" الوعي القانوني " هو جملة الآراء التي تعكس علاقة البشر بالحق القائم والتصورات التي يملكها البشر حول حقوقهم وواجباتهم، وحول شرعية أو عدم شرعية هذا السلوك أو ذلك" (53). ومن جهة أخرى يعني الوعي القانوني الموقف السديد من كل صراع أو خلاف في الواقع المعيش بما يضمن التنظيم المعمول به والنموذج القانوني المأمول. وهذا الوعي يرتبط بطبيعة التنظيم السائد وطبيعة القوة الحاكمة (المسيطرة)، لأن الحق بالمعنى الملموس " هو إرادة الطبقة المسيطرة المرفوعة إلى قانون" (54)، وهو بذلك يمثل صياغة لحتمية الواقع، كما يمثل إكراهها لميول وإرادة أفراد المجتمع الآخرين. وعليه فالوعي القانوني هو إدراك الفرد والجماعة والمؤسسة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين رب العمل والأجير، وبين الظالم والمظلوم أيا كان كحكم لا يخضع للأهواء أو المصلحة، بل للشرعية أيا كان سندها ف " القانون ظاهرة اجتماعية، وينظر إلى القانون كشكل من أشكال الوعي على أنه غير منفصل عن الأخلاق، وغير منفصل عن الدين" (55)، ومنه فالوعي القانوني هو قيمة أخلاقية واجتماعية ودينية، وهو كل حكم يراعي مسار الاعتقادات الاجتماعية وإن تعدد منشأها.

3 - الوعي الاقتصادي Economical Consciouness: هو إدراك الأفراد لطبيعة عناصر القوة والمقدرات المادية المتاحة وطبيعة العمل اللازم لتحقيق الأثر المادي النافع دون المساس السيء بالمحيط ومستقبل الأجيال اللاحقة، وهو " يعكس (الوعي الاقتصادي) فعالية البشر وروابطهم في عملية الإنتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك، حيث لا تستقيم الحياة الاجتماعية دون وعي الإنسان بما يحتاج إليه فينتجه مستخدما عناصر الطبيعة والعمل ورأس المال وفن التنظيم والإدارة ليصل إلى المستوى الذي يحقق له الكفاءة والوفرة ليستخدما في تبادل المنافع مع الآخرين داخليا وخارجيا" (56). وهو بهذا وعي لا ينفصل عن الوعي الاجتماعي، ويعني ضرورة فهم الأفراد للتنظيم الاقتصادي السائد كعامل ضبط

للنشاط الاقتصادي والعلاقات المترتبة عنه بداية من عمليات الإنتاج وتخفيض تكاليفها، إلى الاستهلاك وترشيده، وكل العلاقات بينهما كما التوزيع والتبادل وتحديد قيم التسويق.. وكل الشروط المتعلقة بالسلعة والمال في مجموعه، دون إغفال ما يتبناه الأفراد وينجذبون له سواء ما تعلق بالذوق أو المنفعة أو التفاخر، وغير ذلك من الأمور التي تتحكم في تفاعلهم ومن ثمة ووعيهم.

4 - الوعي السياسي Political Consciouness: في العادة هو إدراك الأفراد لحقوقهم وواجباتهم السياسية، ومعرفة واقعهم بما فيه من أحداث ووقائع (57)، أي أنه اطلاع على مختلف القضايا المتعلقة بطبيعة النظام والسلطة القائمة إزاء الواقع المعيش لمختلف فئات الشعب. وهو أيضا كل خبرة فردية أو جماعية تتعلق بكيفية التحكم في العلاقات بين أفراد المجتمع والشعب، أو إدراك العلاقة بين الحاكم والمحكوم فيما يخص الشأن العام داخليا، ومعرفة مسار العلاقات بين الدول والأمم في مناحي الحياة المختلفة. بمعنى أن الوعي السياسي هو كل قيمة تتعلق بتنظيم الشأن الداخلي والخارجي وتحقيق المصالح والمحافظة على المكتسبات، وبلورة نظام قادر على ذلك. و"ابن خلدون" يؤكد على ذلك بقوله: " فلا بد من نظم سياسية ينتظم بها أمر العمران البشري" (58). والوعي السياسي قد يكون طبقيا أو فئويا حسب مجموع القضايا ذات الاهتمام المشترك بين الناس في أوضاع اجتماعية واقتصادية معينة، حيث تنتج تصورات وأفكار تصب في مصلحة هذه المجموعات. وفي هذا الشأن يؤكد "شيبوتلين Shebtolen" أن الوعي السياسي هو " مجموعة من التصورات والأفكار تجسد نظريا السياسة التي تنتهجها مجموعة أو طبقة بعينها" (59) لكنه من الضروري جدا أن ينأسس الوعي السياسي لدى كل طبقات الشعب في الدولة الواحدة، والسعي إلى تجانس يفعل عملية التنمية، ويحد من مخاطر الاختلاف والخلاف. ومن ثمة فهو "نمط من الأفكار والقيم والاتجاهات التي تتحدد من خلالها الأوضاع القائمة، ويتجلى معها الشعور بالوجود الاجتماعي لطبقة أو حركة اجتماعية متميزة، ومدى مواكبة موقفها السياسي لمقتضيات التغيير وتلبية أهدافها في السيطرة على المجتمع (60). أي أن الوعي السياسي يتحدد بطبيعة متطلبات الأفراد والطبقات التي تسوغ المواقف المختلفة بما يخدمها في وجودها الاجتماعي. وتبرز أهمية الوعي في أنه يدعم قناعة ذاتية للأفراد ويؤسس لخطاب اجتماعي وسياسي، ولعقيدة سياسية فاعلة، كما يبيح ممارسة الديمقراطية وتجسيد الفعل السياسي بحماية قانونية ومن ثمة تعزيز الديمقراطية وإيجاد مناخ سياسي ملائم للعمل السياسي والمشاركة في اتخاذ القرار ونقده. ويتمثل الوعي السياسي تحديدا في: المشاركة السياسية، حرية التعبير و(الاحتجاج)، الإطلاع على القضايا السياسية، حق المواطنة وممارستها، التداول السلمي على السلطة، إدراك الخطاب السياسي. ومنه فإن الفرد كعنصر فاعل في المجتمع ليس بمعزل عن هذا النوع من

المشاغل الاجتماعية، وأنه سيستقي معالم التعامل الجدي والإيجابي من مجمل الخبرات المتاحة.

5 - الوعي العلمي Science Consciouness: هو كل تمكن من المعارف المستقاة من التجربة والتجريب وحتى المنطق، كما أنه الإطلاع على التقنيات والمعارف المبرهن عليها. والوعي العلمي لا يمكن حصره في المعارف التطبيقية فقط ذلك أن المعرفة لها مستويات متدرجة، فمنها الحسية - التجريبية، ومنها العقلية ومنها النقلية .. وحتى تلك التي تتأتى لبعض البشر في أوقات غير معينة كما الإلهام. والوعي العلمي بذلك هو كل ما يتحول إلى قوة إنتاج للأثر المادي النافع للأفراد والجماعات. ويعبر عنه "أوليدروف" بأنه " منظومة من المعارف البشرية الموضوعية والواقعية المجربة علميا حول الطبيعة والمجتمع والفكر، وتعبير عن نفسها في صورة مفاهيم وتعريف وصيغ بصورة أساسية في قوانين" (61). بمعنى أن الوعي العلمي هو كل إدراك للواقع الذي يصاغ في شكل قوانين وأحكام وحتى أساطير.

6 - الوعي الأخلاقي Moral Consciouness: هو صورة السلوك الفردي والجماعي في مواقف مختلفة، وإبداء الآراء والأحكام فيها بما يتوافق مع الطرح النظري والقيمي للمجتمع. والوعي الأخلاقي ينظر إليه كقيمة اجتماعية من جهة وكتقاليد وأعراف تم الفصل في أمرها من جهة أخرى. ولذلك فالوعي الأخلاقي يختلف من مجتمع لآخر، فهو يرتبط بالعلاقات الاجتماعية مهما اختلفت طبيعتها سواء تعلق الأمر بالأحكام التي يصدرها الأفراد على تنظيمات العمل، أو على علاقات الإنتاج، أو على طبيعة التعامل بين الأفراد أو المشاعر السائدة في مواقف مختلفة. فهو كل ما يتعلق بالفرد في علاقاته المختلفة مع الآخرين، باعتبار القيم والمعايير والمشاعر. وبما أن الأخلاق هي كل حكم اجتماعي على مظاهر السلوك إيجابيا أو سلبا، ولأن الأخلاق كقيم اجتماعية تختلف عبر المجتمعات، فإن الوعي بهذه القيم والأحكام هو كل عرف يهتم بقيم الخير والشر، وبما هو إيجابي أو سلبي، وكل تصور ينظم هذه الأحكام يسمى وعيا أخلاقيا. ومنه فالوعي الأخلاقي هو نتاج تفاعل اجتماعي اعتمادا على قيم ومعايير سلوك تشكلت بتواصل الأجيال، وتراكم الخبرة والمعارف إزاء الموضوعات المختلفة. والوعي الأخلاقي يمكن اعتباره بناء اجتماعيا لنمط سلوك يتقبله المجتمع والقانون، ويرجى دوما أن يكون نفعيا متلائما مع الشرعية والمصادقية، أي انه " يوجه الإنسان نحو أفضل نماذج السلوك". (62)

7 - الوعي الوطني: في الغالب يسبق الوعي بالذات كل أشكال الوعي المعروفة منها الوعي الوطني، لأن الوعي الوطني يتجاوز الذات وحاجاتها

ورغباتها والأهداف النفعية المرسومة، وكذا الوعي بالبيئة الاجتماعية المحلية إلى الوعي بما يمتد إلى الوطن كرقعة جغرافية، وامتداد هوياتي يتطلب العمل لأجل استمراره كحدود ومؤسسات وكممارسة تتجاوز السياسي والاقتصادي والاجتماعي. لأن الوطنية كقيمة والمواطنة كقيمة وسلوك يرتبان أولويات ومواقف تؤسس لرؤية كل الأفراد لما هو مطلوب منهم، وتؤسس لنضج اجتماعي وفكري خدمة للصالح العام. والوعي الوطني يبرز في مجموع العمليات التي يقوم بها الأفراد كما المشاركة السياسية والتفاعل الاجتماعي المنتج للأثر المادي النافع والأفكار وحماية الأفراد ومقدرات الشعب التي هي عناصر قوة الوطن، والتي تضمن استمراره، وتجدد آليات تكيفه في محيط دولي متباين ومتغير.

عوامل تشكيل الوعي الاجتماعي: المقصود بالعوامل كل ما يهيئ لتشكيل الوعي الاجتماعي ويؤسس له واقعيًا وإدراكيًا. وهذه العوامل مختلفة ومتعددة حسب طبيعة المجتمع، وتباين فهم الأفراد وأعمارهم، وطبيعة الإيديولوجيا السائدة، وما يرجى تحقيقه في الواقع والمستقبل، "كما أن هناك تفاوتًا في تلك العوامل ما بين القوة والشدة" (63). وعلى العموم فإن هذه العوامل يمكن إيجازها في:

1 - الدين وتشكيل الوعي الاجتماعي: يعتبر الدين أحسن وسيلة للضبط الاجتماعي ومصدرا للقيم والمعايير، التي ترتب لأولويات والسلوك بما يتضمنه من تعاليم وحدود وأوامر ونواهي. وسواء كان هذا الدين سماويًا أو وضعيًا فإن ضوابط الشرعية في الغالب تلقى القبول من طرف الأفراد من خلال الإيمان بها أو - على الأقل - مراعاتها. وبذلك فإن مضامين الدين تحدد اتجاهات الأفراد في تعاملهم مع الوضعيات والمواقف التي يصادفونها وحسب الديانة المتبعة يكون توقع استجابات الأفراد. والأکید أن عامل الدين لا يمكن عزله عن باقي العوامل الأخرى التي تدخل في تشكيل الوعي الاجتماعي (64). ومنه فالدين الإسلامي كأحد الأديان الأكثر انتشارًا والأكثر تأثيرًا في الأفراد يؤدي دورًا كبيرًا في تشكيل وعي الأفراد من خلال حثه على الإيمان والعمل الصالح والنهي عن المنكرات، وإيراد قصص قرآني يصور وضعيات سلوك، ومحكات لتقويم السلوك.

2 - التعلم الاجتماعي وتشكيل الوعي الاجتماعي: إن التعلم كعملية تلقائية وعفوية غير مقصودة تساهم في تشكيل الوعي الاجتماعي من خلال التعرف على أنماط السلوك، وتكوين نماذج كأمثلة ومحكات للتعامل مع الآخرين ومع الأشياء والمواقف التي يصادفها الأفراد. والتعلم الاجتماعي له بيانات اجتماعية متعددة ومختلفة من حيث التأثير، ومن حيث القوة والتساهل. فالبيئة الأسرية وأساليب التربية المطبقة فيها تساعد على تكوين المثال من خلال اكتساب الأفراد فيها لمبادئ التعامل، والقيم الواجب مراعاتها، وكذا الاتجاهات المتوافقة مع ما يعتمده

المجتمع من عادات وتقاليد وأعراف - هذا باعتبار الأسرة السوية والمتجانسة - أما إذا كانت هذه الأسرة غير سوية، فالأكيد أن أعضائها سيكونون جانحين ومنحرفين بوعي ما يحقق مصالحهم دون اعتبار للشرعية، ودون اعتبار لأي توافق مع النظام الاجتماعي القائم. وبعد الأسرة تأتي جماعة الرفاق وهي تشكل بيئة اجتماعية، حيث يكون لأفرادها قيما مختلفة في بعض أجزائها. وجماعة الرفاق هي من الجماعات المرجعية التي يعتبرها الفرد مرجعا واضحا لسلوكه، فهو يتحلى بطباع وقيم وأفكار أعضائها ويقلد سلوكهم ويتأثر بهم (65) سواء كان ذلك بمنحى إيجابي يمتثل للمعايير المعمول بها، أو بمنحى سلبي بالعزوف عن القيم والمعايير الاجتماعية المعمول به. وعليه فجماعة الرفاق تمد الأفراد (أعضائها) بقيم اجتماعية ونماذج سلوك تشكل وعيهم الاجتماعي إيجابا وسلبا ما دام الوعي هو انعكاس للواقع العيني المعيش، دون إغفال واقع الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الأفراد، والتي تفرض وعيا اجتماعيا ذا طبيعة خاصة. لذلك فالتعلم الاجتماعي كتنشئة اجتماعية متعددة البيئات تتضمن إكساب الأفراد القيم الاجتماعية ومعايير السلوك، ووعي ذلك. (66)

3 - التعليم وتشكيل الوعي الاجتماعي: إن عملية التعليم عملية مقصودة وهادفة لتزويد الأفراد بمجمل المعارف والطرق والأساليب التي تمكنهم من انتهاز الحياة، والتصرف الحسن في وضعيات ومواقف مختلفة بما يعود بالصلاح والمنفعة عليهم. والتعليم يستهدف الفرد منذ صغره إلى أن يصير كبيرا، فيكسبه الشخصية المتزنة، ويزوده بالقيم المثلى ومعايير السلوك الاجتماعي، حتى يبني لنفسه صورة اجتماعية لا تأبى توقع ردود أفعالها. ومن ثمة فهؤلاء الأفراد يتأتى لهم إدراكا لا يشد عما هو سائد في المجتمع. والتعليم هذا تقوم به مؤسسات تنشئة اجتماعية، وخاصة المدرسة، وهي المحطة الثانية بعد الأسرة التي تنتقل الأفراد (الأطفال) من بيئة الرعاية والتربية والتعلم العفوي إلى بيئة التربية والتعليم المقصود، ليتزودوا بالمعارف الممنهجة لأجل اكتساب أفكار وطرق تفكير والوعي بالمحيط، والمتوقع حدوثه. فالمدرسة بذلك هي أهم مؤسسة لإكساب الأفراد الوعي بصفة عامة، والوعي الاجتماعي خاصة.

4 - وسائل الإعلام وتشكيل الوعي الاجتماعي: إن تعدد أشكال ومضامين وسائل الإعلام الحديثة المقروءة والمسموعة والمرئية (والتي تجمع بينها) جعلها من المدخلات المؤثرة في الأفراد سواء تعلق الأمر بالجانب الشخصي أو الاجتماعي أو العلمي، وهذا نظرا لكم المعلومات والمعارف التي تندفق على الأفراد والتي تتحين تباعا، وخاصة ما يعرف الآن بالإعلام الإلكتروني الذي يعتمد الواقع والافتراض، ويبيح للأفراد خاصية التفاعل وإبداء الرأي مما يجعلهم غير

متلقين بل متفاعلين ومصادر في ذات الآن. وهذا يبيح للأفراد تشكيل نماذج معرفية للخوض في مجالات الحياة المختلفة، واكتساب المعارف وطرق وأساليب التعامل في المواقف المختلفة، وسبل التكيف مع المستجدات. ومن ثمة اكتساب وعي اجتماعي غير متاح سابقا، لأن الوسائل تؤثر في طريقة إدراك الأفراد، وترسم الصورة الذهنية إزاء المواقف والقضايا المختلفة. (67)

وظائف الوعي الاجتماعي:

الوعي آلية إدراك عالية المستوى، وهو نشاط متكامل وموحد، لذلك فالقول بوظائف الوعي "خاصة الاجتماعي" لا يعني تجزئته أو حصره في مجال دون آخر، بل ذلك من منظور تصنيفي منهجي يمكن من معرفة أهم وظائفه. وهو بذلك ليس مجرد معطى أو بناء فكري فقط، بل هو موجود مركب ومعقد يشير إلى نشاط يمتد إلى جوانب مختلفة من حياة الأفراد في المجتمع. فهو يؤدي وظائف متعددة كصقل شخصية الأفراد، ومساعدتهم في تحقيق مصالحهم وفق أحسن الطرق والأساليب، كما أنه هو السبيل للتواصل الجيد بين الأفراد وفق الضوابط المعمول بها. ومن وظائفه ما يلي:

1 - الوظيفة المعرفية: باعتباره فعل تفكير ناتج عن ذات عارفة في مقابل الطبيعة الاجتماعية كموضوع معرفة، ذلك أن الأفراد في سعيهم للمعرفة وإدراك العلاقات يبذلون جهدا كبيرا في التأمل والتقصي والاختيار. لذلك فالوعي الاجتماعي له وظيفة الإطلاع على أساليب الحياة عامة سواء المعرفة المتعلقة بالمصلحة الشخصية أو المتعلقة بالمصلحة الاجتماعية، وكذا مدى التوافق والانسجام مع العادات والتقاليد ومنظومة القيم في كل ما يتصل بالسعي إلى تحقيق أي منفعة، ومدى مشروعية ذلك. ومن ثمة فالوعي الاجتماعي هو قولبة تفكير وسلوك الأفراد في مواقف معينة.

2 - الوظيفة التربوية: للوعي الاجتماعي وظيفة تربوية تتجسد بتواصل أفراد المجتمع حسب الأعمار والأجيال لنقل التجارب والخبرات، وما يتصل بحسن الأداءات الاجتماعية "وبعبارة أخرى فهي تنقل كل الإرث الثقافي والاجتماعي. (68) أي أن الوظيفة التربوية لا تقتصر على المعطى المعنوي، بل أيضا المعطى المادي أي كان. أي أن له دور تربوي يسعى إلى إيجاد تجانس بين أفراد المجتمع وحفظ الانتماء والهوية الحضارية.

3 - الوظيفة الإعلامية: يطلع الوعي الاجتماعي أيضا بوظيفة الإعلام الذي يعني - فيما يعني - إيراد الخبر بكل مضامينه الإخبارية منها والتثقيفية، وذلك باعتبار وسائل الإعلام التي تمادت - أكثر من أي وقت مضى - في صنع التفاعل

الاجتماعي الذي يخضع للتحقق الاجتماعي، وكل شيء قد يعاد فيه النظر أو يثبت أو يعدل أو يرفض من خلال صياغة الطرح في نقاش مفتوح قد يؤدي إلى إعادة إنتاج وعي اجتماعي بديل.

4 - الوظيفة الإيديولوجية: وهي أن الوعي الاجتماعي كعملية ممتدة لها مناحي قوة ومناحي قصور يسعى لإيجاد نسق فكري يخدم التوجهات والمثل العليا للمجتمع، وكل نظام اجتماعي قائم. والوظيفة الإيديولوجية هذه لا تعني إجماعا قيميا سائدا بقدر ما تعني تخطيط فكري لتكريس توجه قائم يضبط النشاط والعلاقات الاجتماعية تحت إطار سياسي يهيمن على المجالات الأخرى.

5 - الوظيفة العلمية والنفسية: وهي وظيفة تنطلق من الذات كإقبال على صياغة نموذج معرفي خاص لا يتعارض مع النموذج الاجتماعي السائد باعتبار مجموع المعارف والعلوم التي هي مقياس لكل إنجاز اجتماعي. هذا الإنجاز الذي يلقي القبول اجتماعيا، ويحظى بقناعة شخصية في مواقف مختلفة.

الخاتمة

والأكيد أن الوعي الاجتماعي يتباين ويختلف حسب تباين المستوى المعرفي وحسب اختلاف الموضوعات والأحداث، وهو بذلك ليس قارا بل يتطور حسب درجة تقدم المجتمعات اجتماعيا وعلميا وتقنيا.

وهو كأحد المواضيع التي تحظى بتغطية بحثية من قبل عديد التخصصات يستدعي تكاتف الجهود لحصر منطقاته وتحديد معالمه ومن ثمة التأسيس لمفهوم لا يلقي مزيدا من الاختلاف والتشتت.

وبعيدا عن الاختلاف يمكن إيراد مفهوم للوعي الاجتماعي على أنه استقاء للواقع الموضوعي - الاجتماعي وفهمه ذاتيا بكل القوى الحسية - التجريبية والعقلية وما فوق العقلية (الوحي والإلهام) لأجل تحقيق المنفعة المادية والروحية، وضمان الاستمرار في مناخ من كل القيود، أي كانت طبيعتها.

هوامش المادة العلمية

1. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار العرب، القاهرة - مصر - 2000، ص 748.

2. حامد عبد القادر و محمد علي النجار ،مجمع اللغة العربية،الإدارة العامة للمجمعات و إحياء التراث - مصر - 2004،ص 1044.
3. جاد الله أبي القاسم الزمخشري،أسس البلاغة ج2،دار الكتاب،القاهرة،1983،ص 581.
4. المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية،القاهرة - مصر - 1966،ص 208.
5. www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/وعي/14/10/2016:10.03.
6. www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/وعي/14/10/2016:10.03.
7. قرآن كريم، سورة الحاقة، الآية 12.
8. الطبري، جامع البيان، 55/29.
9. قرآن كريم، سورة المعارج، الآية 18.
10. قرآن كريم،سورة الانشقاق،الآية 23.
11. الزمخشري، الكشاف،4/729.
12. قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 07.
13. محمد بن عبد الرحمن المباركوري، تحفة الاحوذى، باب فضل علم الحديث وأهله ج10، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ص 349.
14. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري،المستدرک على الصحيحين،باب كتاب العلم ج 5،دار المعرفة،بيروت،1998،ص 275.
15. محمد بن عبد الرحمن المباركوري،تحفة الاحوذى،7/131.
16. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تاويل مختلف الحديث ط 2، ج 1 ، دار الإشراف، المكتب العربي، القاهرة - مصر - 1999، ص 275.
17. بشير ناظر حميد،دراسات في علم الاجتماع ط1، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق،2014، ص 26.
18. Darity, William A. (ed.), International Encyclopedia of the Social Sciences, 2nd ed., Vol. 2, Macmillan Reference, USA, 2008. P. 78
19. Vanechoutte, Mario, Experience, Awareness and Consciousness, Suggestions for Definitions as Offered by an Evolutionary Approach, Foundations of Science, Vol. 5, Kluwer Academic Publishers, Netherlands, 2000. P. 437
20. A, Robert, Consciousness and Awareness, Journal of Consciousness Studies, 14, No. 3, 2007, Pp. 102-103
21. Tsvetkov, Artem, Consciousness: Response to the Hard Problem, Indiana Undergraduate Journal of Cognitive Science, Vol. 3, 2008. P.22
22. Le petit Larousse illustré ,édition libraire Larousse, France ,2008.
23. هدى محمد حسن هلال، نظرية الأهلية:دراسة تحليلية مقارنة بين الفقه و علم النفس،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،الأردن،2001،ص 213.
24. إمام عبد الفتاح إمام،دراسات هيجلية،دار الثقافة،القاهرة،مصر،1984،ص 33.
25. Sophia.over-blog.com/article12944178.html.03/02/2018.09.51.

26. Idem.p24.
27. Idem.p24.
28. Idem.p25.
29. أحمد حسين اللقاني وعلي احمد الجمل، معجم المصطلحات التربوية، المعرفة في المناهج وطرق التدريس، ط 2، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1999، ص 219.
30. نادية محمود محمد بنداري، برنامج لتنمية الوعي البيئي لدى الأطفال في علاقته التوكيدية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الزقازيق، 2002، ص 69.
31. أمل عبد الفتاح عطوة، الوعي الاجتماعي للمرأة الريفية ودوره في عملية التنمية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، 2000، ص 69.
32. السيد محمد دالي، دور مصادر المعرفة في تشكيل الوعي الاجتماعي عند الريفيين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 1998، ص 20.
33. محمد بن سعود العريفي، العلاقة بين الوعي الاجتماعي والحد من انتشار العقاقير المخدرة، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1416 هـ، ص 24.
34. ¹ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ط 1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة - مصر - 1979، ص 88.
35. احمد حيدر، سيكولوجية العولمة، مجلة الفكر السياسي، العدد 15، دمشق - سوريا - 2002، ص 133.
36. بشير ناظر حميد، دراسات في علم الاجتماع ط 1، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 2014، ص 26.
37. ¹ أحمد طاهر مسعود، المدخل إلى علم الاجتماع العام، ط 1، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان - الأردن - 2011، ص 103.
38. ¹ أحمد طاهر مسعود، المدخل إلى علم الاجتماع العام، مرجع سابق، ص 103.
39. www.marefa.org/index.php/ وعي - اجتماعي. 01/12/2014.21.55.
40. Rosenthal ,A Youdin,P . Dictionary of philosophy Progress « Moscow, 1967,p 2.
41. ابراهيم محمد سعيد، فعالية الصحافة المدرسية بالمرحلة الثانوية في تنمية وعي الطلاب بقضايا المجتمع الواردة في مادة التربية الوطنية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الزقازيق، مصر، 1988، ص 18.
42. حمدي حسن عبد الحميد، وعي طلاب التعليم العالي ببعض القضايا السياسية والاجتماعية، دراسة استكشافية، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، ع 25، يناير 1996، ص 257.
43. www.marefa.org/index.php/ وعي - اجتماعي. 01/12/2014.21.55.
44. أحمد طاهر مسعود، المدخل إلى علم الاجتماع العام، ط 1، مرجع سابق، ص 105.
45. أحمد طاهر مسعود، المرجع السابق، ص 105.
46. نفس المرجع السابق، ص 104.
47. نفس المرجع السابق، ص 105.
48. نفس المرجع السابق، ص 105.
49. نفس المرجع السابق، ص 103.

50. أوليدرروف أ.ك، الوعي الاجتماعي، ترجمة ميشل كيلو، دار ابن خلدون، بيروت - لبنان - 1982، ص 57.
51. سامية مصطفى الخشاب، دراسات في علم الاجتماع الديني، ط1، دار المعارف، القاهرة - مصر - 1993، ص 53.
52. سامية مصطفى الخشاب، المرجع السابق، ص 58.
53. أوليدرروف أ.ك، الوعي الاجتماعي، مرجع سابق، ص 80.
54. أوليدرروف أ.ك، المرجع السابق، ص 80.
55. نائلة ابراهيم عمارة، دور التلفزيون في تنمية الوعي الاجتماعي للمرأة الريفية، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1993، ص 42.
56. محمد بن سعود العريفي، العلاقة بين الوعي الاجتماعي والحد من انتشار العقاقير المخدرة، مرجع سابق، ص 33.
57. جلال عبد الله معوض، أزمة المشاركة السياسية في الوطن العربي في: الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، العدد 4، بيروت، لبنان، 1983، ص 70.
58. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط 2، ج 4، تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1965، ص ص 711، 712.
59. شيبوتلين، الفلسفة الماركسية - اللينينية، ترجمة يونس أميلكادوس، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر، 1981، ص 287.
60. عبد الكريم عبد الغني غانم، محددات الوعي السياسي لدى طلاب المرحلة الثانوية في مصر، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 2007، ص 17.
61. أوليدرروف أ.ك، الوعي الاجتماعي، مرجع سابق، ص 167.
62. محمد سليم مسعد الحارثي، الوعي الاجتماعي وعلاقته بالمسؤولية الاجتماعية لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض، إشراف عبد الله محمد حسنين شلبي، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية والنفسية، الرياض، 1435 هـ، ص 43.
63. محمد سليم مسعد الحارثي، الوعي الاجتماعي وعلاقته بالمسؤولية الاجتماعية لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص 30.
64. أحمد بدر، الرأي العام طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة، مكتبة غريب، القاهرة، 1997، ص 174.
65. إحسان محمد الحسن، علم الإجرام، دراسة تحليلية في التفسير الاجتماعي للحرية، مطبعة الحضارة، بغداد، العراق، 2001، ص 258.
66. باسل البياتي، فضائيات الثقافة الرائدة وسلطة الصورة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001، ص 113.
67. احمد العاقد، من نسق الانغلاق إلى نسق الانفتاح على التواصل الثقافي، مكتبة الأنجلو - مصرية، القاهرة، مصر، 1997، ص ص 238، 239.
68. محمد بن سعود العريفي، العلاقة بين الوعي الاجتماعي والحد من انتشار العقاقير المخدرة، مرجع سابق، ص 37.

